Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 7, Issue 4 (2023) • P: 125 - 106
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

The Role of the British Advisor Charles Belgrave in the Making of the Modern State of Bahrain (1926 - 1957): A Historical Study

Dr. Sharaf Mohamed Ali AlMezaal

University of Bahrain | Bahrain

Received: 30/11/2022

Revised: 10/12/2022

Accepted: 15/01/2023

Published: 30/04/2023

* Corresponding author: salmezaal@gmail.com

Citation: AlMezaal, SH. M. (2023). The Role of the British Advisor Charles Belgrave in the Making of the Modern State of Bahrain (1926 - 1957): A Historical Study. *Journal of Humanities & Social Sciences, 7(4),*106 – 125. https://doi.org/10.26389/AJSRP.S301122

2023 © AJSRP • National Research Center, Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study aims to reveal the role of Sir Charles Belgrave, the British advisor to the Government of Bahrain (1926 - 1957), in establishing the modern state of Bahrain, based on the relevant historical documents, to reveal the mechanisms of political decision-making during that period, and to link the decisions with internal and external developments. The study was based on a number of historical sources, and concluded that Belgrave played a positive political role in building the modern state of Bahrain, and that he, as an advisor, was a government employee who did not act without prior permission from the ruling authority, but the broad administrative powers granted to him in running the affairs of state made him believe that he is the absolute decision maker. In addition, the decisions taken by Sir Belgrave were not individual, but came as a result of the interaction of the influence of internal forces; namely the ruling authority, the leaders of the Bahraini national movement, and external forces; namely the British colonial forces in the Arabian Gulf Region.

Keywords: Charles Belgrave, British Chancellor, British Colonialism, Rulers of Bahrain, State of Bahrain.

دور المستشار البريطاني تشارلز بلجريف في تأسيس دولة البحرين الحديثة: دراسة تاريخية (1926 - 1957)

الدكتورة / شرف محمد علي المزعل

جامعة البحرين | البحرين

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحكومة البحرين (1926 – 1957)، في تأسيس دولة البحرين الحديثة استنادا إلى الوثائق التاريخية. كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن آليات اتخاذ القرار السياسي في أثناء فترة عمل السير تشارلز بلجريف في البحرين، وربط القرارات التي اتخذها المستشار البريطاني بالمتغيّرات والمستجدات الداخلية والخارجية. وقد استندت الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية، وخلصت الدراسة إلى أن تشارلز بلجريف لعب دورا سياسيا إيجابيا في بناء دولة البحرين الحديثة، وأنه كان، بصفته مستشارا، موظفا حكوميا لم يتصرّف إلا بإذن مسبق من السلطة الحاكمة، غير أن الصلاحيات الإدارية الواسعة التي مُنحت له في تسيير شئون أجهزة الدولة جعلته يعتقد أنه يمتلك السلطة المطلقة في اتخاذ القرار. أضف إلى ذلك أن القرارات التي اتخذها تشارلز بلجريف لم تكن في أغلب الأحيان فردية وارتجالية، بل جاءت ثمرة لتفاعل تأثير القوى الداخلية، مُمثلة في سلطة الحكم بالبحرين، وقادة الحركة الوطنية البحرينية في منتصف القرن العشرين، والقوى الخارجية، مُمثلة في قوى الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج العربي.

الكلمات المفتاحية: السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني، الاستعمار البريطاني، حكام البحرين، دولة البحرين.

المقدمة:

إن سر صناعة الحضارات هو التأريخ وشخصياته، وقد قال الفيلسوف الألماني جورج هيغل أن الرجال العظام في التاريخ هم مُمثلون، «يعبرون عن قوى التاريخ المادية، وعن متطلبات المرحلة التاريخية التي عاصروها، وأنه لمن مكر التاريخ أن يستعين بهذه الشخصيات لتحقيق أهدافه وخططه ومقاصده دون أن يعرفوا عن أمرها شيئا، مع أنها مُتضمنة في أعمالهم ومُتحققة في تصرفاتهم».[1]

ضمن الشخصيات التاريخية المؤثرة في نهضة البحرين الحديثة، يبرز اسم السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحكومة البحرين من 1926 - 1957، وقد ارتبط اسمه دائما بتاريخ البحرين؛ لأن دوره كان شاملا ومؤثراً بصورة كبيرة، حيث لم يكن يقدم المشورة لحكام البحرين فقط، بل كان «يدير بالفعل شئون الإدارة المحلية، وقد نجح في جعل البحرين أحد أفضل الدول إدارة في الشرق الأوسط»،[2] كما لاحظ السير ويليام هاي، الدبلوماسي البريطاني السابق بالمنطقة. كما أثرت مساهمات السير بلجريف في «تحويل البحرين من مشيخة إلى دولة حديثة، وسنّ قانونا يمنع القهر والاستغلال، وجعل من البحرين القديمة أنموذجا لسياسة جديدة للدول الغربية بالشرق الأوسط».[3]

حيث أن فترة إقامة السير تشارلز بلجريف (1926 - 1957) في البحرين قد تزامنت مع «مُطالبة هيئة الاتحاد الوطني (1954 – 1956) المتأثرة بالفكر القومي بإصلاح الحكم المحلي في منتصف القرن العشرين، وصعود القوى الأقليمية، أي حركة الضباط الأحرار في مصر، واستغلال القوى الكبرى للقوميين لتغذية الأزمة في البحرين خلال فترة الحرب الباردة (1947 – 1991)، حيث وجدت في مُعارضة الهيئة لحلف بغداد (1955) تعزيزا للنفوذ السوفيتي بالمنطقة، اعتبرت الهيئة تشارلز بلجريف عائقا للإصلاح وطالبت بإنهاء خدماته».[4] غير أن «المكانة التاريخية الفعلية للسياسات التي طبقها السير تشارلز بلجريف لا تزال بحاجة إلى تمحيص أكبر؛ ذلك أن التاريخ لوحده سوف يُحدد، كما ذكر محمود المردي، رئيس تحرير جريدة الأضواء، ما إذا كانت القرارات والأحكام التي اتخذها السير تشارلز بلجريف هي من اجتهاده بنفسه، أو أنها جاءت تلبية لأوامر عُليا كانت تُملى عليه بما يتماشى مع الوضع السائد بالبلاد خلال فترة عمله».[5]

ولذلك، ظهرت أهمية دراسة الدور التاريخي للمستشار البريطاني السير تشارلز بلجريف في تأسيس دولة البحرين الحديثة، وتحديد مكانته الفعلية في تاريخ البحرين الحديث، وذلك من خلال ربط سياساته وقراراته وممارساته بسياق التطور التاريخي والاجتماعي للبحرين من جهة، وبالأوضاع السياسية الإقليمية والدولية في فترة خدمته بالبحرين (1926 – 1957)، من جهة أخرى.

---

(1) هيجل، جورج فلهلم، *العقل في التاريخ*، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير، (بيروت، 2007)، الطبعة الثالثة، ص. 89.

(2) Hay, W. The Impact of the Oil Industry on the Persian Gulf Shaykhdoms. *Middle East Journal*, 4, p. 363,1955.

(3) Bell, J. 'He said Forward! To the Backward'. *Life,* p. 157. 17 November 1952.

(4) Abdulla, H. E. Sir Charles Belgrave and the Rise and Fall of Bahrain's National Union Committee (January 1953 to April 1957). *Doctoral Thesis*. University of East Anglia.2016.

(5) المردي، محمود. *وفاة السير تشارلز بلجريف*. جريدة الأضواء. 6 مارس 1969، ص. 3.

مشكلة البحث:

رغم الاهتمام الواسع للباحثين في البحرين، وللمؤرخين والمختصين في الخارج بدور المستشار البريطاني السير تشارلز بلجريف في الحياة السياسية بالبحرين،[6] إلا أن الباحثة لم تعثر على دراسات تستخدم المنهج التاريخي لتحليل أحداث المرحلة التي هيمن فيها تشارلز بلجريف على صناعة القرار السياسي في البحرين، والتي تمتدّ إلى واحد ثلاثين عاما (1926 – 1957).

تعلِّل الباحثة ذلك بصعوبة دراسة الموضوع نظرا للظروف الحساسة والمعقدة التي عانت منها المنطقة في فترة الاستعمار البريطاني، والممتدة من (1880 – 1971)، وحدّة الجدل السياسي الصاخب حول شخصية تشارلز بلجريف ومكانته في تاريخ البحرين الحديث.[7] فبينما اعتبره روبرت بلجريف مجرّد موظف مُطلع، يؤدي عمله الرسمي كمساعد لدى الحاكم، ولم يكن حاكما قط،[8] اعتبره آخرون الشخصية الرئيسة في دوائر الحكومة ومؤسساتها، حيث كان أداة للسيطرة البريطانية في الخليج،[9] مع ذلك، تتوافر بعض الدراسات التي تناولت الدور السياسي لتشارلز بلجريف، ومنها دراسة منسي، والتي تم فيها مناقشة الخلفية السياسية لتعيين تشارلز بلجريف مستشارا بريطانيا لحاكم البحرين،[10] والسلطات الواسعة التي حظي بها على صعيد الجمارك والشرطة والقضاء في البلاد، والتي كانت تعكس الرغبة البريطانية بالسيطرة على الأراضي العربية، ونقل مقر الوجود السياسي والعسكري البريطاني في الخليج من الأراضي الفارسية إلى البحرين العربية (1946). ورغم أهمية هذه الدراسة، إلاّ أنها عالجت دور تشارلز بلجريف في الحياة السياسية بالبحرين من منظور أحادي، باعتباره ممثلا للاستعمار البريطاني، وموالیا لبريطانيا أكثر من ولائه للبحرين التي عيّنته رسميا، كما أنها لم تتطرق لكيفية تفاعل القوى الداخلية والخارجية في تعيين تشارلز بلجريف، وصياغة سياساته وقراراته المحلية.[11]

وهدفت دراسة عبد الله إلى تتبّع الصراع السياسي من 1953 - 1957، بين تشارلز بلجريف، مستشار حكومة البحرين في عهد الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة (1942 – 1961)، وهيئة الاتحاد الوطني (1954 – 1956)، والمتأثرة بالتيارات القومية العربية، حيث سعت الهيئة إلى المطالبة بالحدّ من الصلاحيات الواسعة للمستشار من خلال حزمة المطالب الإصلاحية التي تقدّمت بها للشيخ سلمان. ومع أن هذه الدراسة تعتبر مهمة في تحديد الدور السياسي لتشارلز بلجريف وموقفه من الحركة الوطنية، إلا أنها اقتصرت على دراسة الأعوام الأخيرة من فترة خدمة بلجريف، ولم تسلط الضوء على الطابع الجدلي لشخصية تشارلز بلجريف وأثرها في سير الأحداث السياسية.[12]

(6) راجع مثلا: أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*. محاضرة في جمعية تاريخ وآثار البحرين. 2014.

(7) See for example: Allday. Louis. *Charles Belgrave: The Advisor*. 14 October 2014.

(8) بلجريف، روبرت. تشارلز داليرمبل بلجريف: مستشار قديم في البحرين. *الوثيقة*. مج3. ع6. 1985، ص. 15.

(9) الخليفة. مي محمد. *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926 - 1957)*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2000، ص.14.

(10) منسي. عبد الله بن سراج. تشارلز بلجريف: وسيلة جديدة للهيمنة البريطانية في الخليج العربي. *مجلة جامعة الملك سعود* (الآداب). مج12. 2004، 1 - 35.

(11) منسي. عبد الله بن سراج. تشارلز بلجريف: وسيلة جديدة للهيمنة البريطانية في الخليج العربي. *مجلة جامعة الملك سعود* (الآداب). مج12. 2004، 1 - 73.

(12) Abdulla. 2016. Ibid.

وبناء على ما تقدم، تتمثل **مشكلة الدراسة** الحالية في الكشف عن الدور الذي لعبه السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحكومة البحرين (1926 – 1957)، في تأسيس دولة البحرين الحديثة، كما تظهره المواد والوثائق والدراسات التاريخية ذات الصلة، وأثر التفاعل بين القوى والعوامل الداخلية والخارجية في صياغة سياسات وقرارات وأحكام المستشار، كما تبرزها تلك الوثائق التاريخية.[13]

أهداف البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن دور السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحكومة البحرين (1926 – 1957)، في تأسيس دولة البحرين الحديثة، وذلك استنادا إلى الوثائق التاريخية ذات الصلة. كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن آليات اتخاذ القرار السياسي في أثناء فترة عمله في البحرين، وربط القرارات والأحكام التي اتخذها المستشار البريطاني بالمتغيّرات والمستجدات الداخلية والخارجية، وبمطالب الإصلاح السياسي في البحرين بتلك المرحلة.[14]

أسئلة البحث:

تتوخّى الدراسة الحالية الإجابة عن تساؤل أساسي، هو: ما الدور الفعلي الذي لعبه المستشار البريطاني لحكومة البحرين، السير تشارلز بلجريف (1926 – 1957)، في تأسيس دولة البحرين الحديثة، كما تظهره الوثائق التاريخية ذات الصلة؟ ويتفرع منه تساؤل آخر، وهو: ما أثر التفاعل بين القوى والعوامل الداخلية والخارجية في صياغة سياسات المستشار بلجريف، كما تبرزها تلك الوثائق؟

أهمية البحث:

تُعتبر هذه الدراسة، في حدود علم الباحثة، المحاولة العلمية الثانية لتحديد دور السير تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحاكم البحرين، في تأسيس دولة البحرين الحديثة من منظورٍ تاريخي نقدي، من خلال تحليل سياساته وقراراته في ضوء التطور التاريخي للبحرين في فترة عمله (1926 – 1957).(15) كما تتجلّى أهمية الدراسة في سعيها إلى تحليل أثر تفاعل المُتغيّرات الداخلية والخارجية في رسم سياسات المستشار البريطاني، وتحديد آليات اتخاذ القرار السياسي في تلك الفترة التاريخية.

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة **المنهج التاريخي** الوصفي بهدف «دراسة وقائع الأحداث الماضية من خلال جمع المادة التاريخية من مصادرها، وترتيبها وتصنيفها، وتحليلها وتفسيرها من أجل التوصل لاستنتاجات محدّدة، تساعد في فهم أوضاع الحاضر والتخطيط للمستقبل».[16]

---

(13) الخليفة، مي محمد. تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926 - 1957). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص. 53.

(14) يجدر التنويه هنا بأن المستشار البريطاني بلجريف، كما سيتضح أدناه، لم يكن يتخذ القرارات بمفرده، أي بصفة شخصية محضة، بل كان في أكثر الأحيان يستشير حاكم البحرين قبل اتخاذ أي إجراء سياسي.

(15) تمثلت الدراسة الأولى في كتاب: الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926 - 1957)*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.

(16) حسين. محمد خليل، وأحمد. عبد الغفور إبراهيم. *المدخل إلى طرق البحث العلمي*. دار زهران. عمّان. 2012، ص. 51.

ولجمع المعلومات من مصادرها الأولية، استخدمت الباحثة أسلوب تحليل **الوثيقة التاريخية** بصفتها **مصدرا أوليا للبحث**؛ ذلك أن الوثيقة تصف الظاهرة التاريخية، وصفا منهجيا منظما ودقيقا في إطارها الزمني، فيما تتركز مهمة الباحث في تحديد «نوع الوثيقة، ومؤلفها، وتاريخها، وأهدافها، وتقييم محتواها، وتعيين حدودها، وحجج المؤلف، وتحديد ما لم يُقال فيها، وتقييم مدى مصداقيتها عن طريق مطابقة معلوماتها مع معلومات وثائق تاريخية أخرى صادقة».[17]

مواد البحث وطرائقه:

استخدمت الباحثة أسلوب **تحليل الوثيقة**، مُعتمدة على عدد من **المصادر الأولية**، وأهمها:

1- السجلات والوثائق البريطانية:

أ- سجلاّت البحرين: 1820-1960، وتتضمن هذه السجلاّت مراسلات وتقارير ورسائل تم إعادة نشرها في البحرين وفقا لسجلاّت المكتب البريطاني بالهند ووزارة الخارجية البريطانية.[18]

ب- الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (المجلد السابع: 1923-1924): تعتبر الوثائق البريطانية أغزر مرجع عن الجزيرة العربية منذ بداية القرن العشرين، نظرا لعلاقة بريطانيا الوطيدة بشؤون الجزيرة العربية، ودورها المهم في الخليج العربي وإماراته، فضلاً عن العراق ومصر. وتضم هذه المجموعة ترجمة لأهمّ الوثائق البريطانية التي تفصح عن سياسة بريطانيا ومواقفها وأعمالها منذ بداية عام 1914، والتي نشبت خلاله الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، ودشنت بداية عهد جديد في تاريخ المنطقة كلها. وتحتوي هذه الوثائق أيضا على تقارير المُمثلين البريطانيين ومراسلاتهم، كما أنها تصف الأوضاع الداخلية في دول الخليج العربي، وعن اتصالاتهم مع حكامها، ومحادثاتهم معهم.[19]

2- *الصحف والمجلات:* قامت الباحثة بمراجعة **أرشيف الصحف** والمجلات الصادرة في فترة خدمة تشارلز بلجريف (1926-1957)، والمتوفرة في مركز عيسى الثقافي بالبحرين، مع التركيز على أرشيف الصحف والمجلات في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، مثل مجلة «صوت البحرين» (1950 – 1954)، والتي تعتبر مصدرا هاما لتأريخ مسيرة الحركة الإصلاحية وتطوّرها في البحرين، وإبراز موقف المستشار البريطاني تشارلز بلجريف من هيئة الاتحاد الوطني والأوضاع السياسية.[20]

كما استندت الباحثة على **المصادر الثانوية**؛ وهي «مؤلفات لكتاب معاصرين تتناول قضايا قديمة، وهم أنفسهم لم يكونوا شهودا عيان لها»؛[21] أيّ من (1926 – 1957)، وتشمل ما يلي:

1. المذكرات والسير الشخصية:

أ- مذكرات تشارلز بلجريف: وهي مذكرات يومية كتبها السير تشارلز بلجريف (Belgrave, 1960)، وتصف تفاصيل للأوضاع اليومية في البحرين، وصدرت في بريطانيا بعنوان (Personal Column). وقد قام الكاتب

---

(17) Listmann, Emily. *How to Analyze a Historical Document*. 2021.

(18) Tuson, Penelope. *Records of Bahrain: Primary Documents, 1820-1960*. Buckinghamshire, England. Archive Editions. 1993.

(19) صفوة. نجدة فتحي. *الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية*. دار الساقي. بيروت. 2004. ص21.

(20) المزعل. شرف محمد علي. *الخطاب الإصلاحي في البحرين في منتصف القرن العشرين (1950 - 1954)*. بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. 2022.

(21) السلماني. عبد الله بن طه. *منهج البحث التاريخي*. دار الفكر. عمّان. ط1. 2010. ص. 124.

(22) بلجريف. تشارلز. *مذكرات بلجريف مستشار حكومة البحرين سابقا*. ترجمة: مهدي عبد الله. دار البلاغة. بيروت. ط1. 2002.

(23) مركز البحرين لحقوق الإنسان. *يوميات تشارلز بلجريف (1926-1957)*. مركز البحرين لحقوق الإنسان، مملكة البحرين. 2009.

مهدي عبد الله بترجمة هذه المذكرات إلى اللغة العربية، وصدرت في كتاب بعنوان «مذكرات بلجريف»،[22] حيث أن بعض فصول النسخة الإنجليزية الأصلية للمذكرات لم ترد بالنسخة العربية، فقد قام مركز البحرين لحقوق الإنسان بترجمة بعض يوميّات تشارلز بلجريف التي لم ترد في تلك المذكرات، وأصدرها في كتاب بعنوان «يوميات تشارلز بلجريف (1926 - 1957)».[23]

ب- تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات، من إعداد الباحثة ميّ محمد الخليفة، ويتضمن الكتاب سيرة حياة تشارلز بلجريف وأدواره السياسية ذات الصلة بتأسيس دولة البحرين الحديثة، وعلاقته بحكام البحرين، وموقفه من الأوضاع السياسية في الخمسينيات من القرن العشرين.[24]

ج- المذكرات اليومية لروبرت بلجريف، وهو ابن عم المستشار البريطاني تشارلز بلجريف، حيث قام بتدوين بعض يوميات تشارلز بلجريف في الفترة من 1928-1929، وتحدث فيها عن انطباعات المستشار عن البحرين وأهلها، كما أكد على الدور الفعلي لتشارلز بلجريف بصفته موظفا، كان يؤدي عمله الرسمي المُوكل له فقط.[25]

2. *الكتب التي تؤرخ لتلك الفترة*، ومن بينها كتاب «لمحات من ماضي البحرين» للباحث خليل المريخي، والمحاضرات، والدراسات السابقة التي اهتمت بتقييم المكانة السياسية للمستشار البريطاني، وتحليل دوره وعلاقاته مع حكام البحرين في فترة خدمته في البلاد، والمُشار إليها أعلاه.[26]

حدود البحث:

تمتدّ حدود الدراسة الزمنية خلال فترة مهمة في تاريخ البحرين، تزيد عن ثلاثة عقود، حيث تبدأ منذ تسلّم تشارلز بلجريف مهام المستشار لحاكم البحرين؛ أي من عام 1926 - 1957، وهو عام مغادرته للبحرين، حيث تم تحليل سياسات المستشار البريطاني وقراراته خلال تلك الفترة.[27]

صعوبات البحث: واجهت الباحثة **عددا من الصعوبات** في أثناء كتابة البحث الحالي، وهي صعوبات تواجه المؤرخ في كتابة التاريخ؛ وأولها أن الحديث في هذا البحث يدور حول فترة تاريخية مُهمة، لا تزال في ذاكرة الكثيرين، ولكن الوثائق المتوفرة عنها شحيحة ومتناقضة. أما **الصعوبة الثانية** فتمسّ شخصية تشارلز بلجريف نفسه، حيث أنه شخص مُتحفظ، ويحمل مسئوليات سياسية، وأعباء مهنية خطيرة، مما جعله يواجه مواقف محرجة، وولّد لديه انفعالات وإحباطات مستمرة، عبّر عنها في يومياته؛ ولذا يجب على الباحث التاريخي أن يسلط الضوء بأمانة كبيرة على الحقائق والأحداث الخاصة بتلك الفترة ودور تشارلز بلجريف فيها، وهنا تكمن **الصعوبة الثالثة**؛ فالأمر لا يقتصر على قصة رجل واحد؛ بل يشمل علاقة ثابتة بين دولتيّن بُنيت على أساس العدل والثقة، وهذه العلاقة لا تزال وطيدة حتى الآن.[28]

---

(24) الخليفة. مي محمد. *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000. ص 25.*

(25) بلجريف. روبرت. *تشارلز داليرمبل بلجريف، 1985.*

(26) المريخي. خليل. *لمحات من ماضي البحرين. دولة البحرين. وزارة الإعلام. 1987.*

(27) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965، 2014.*

(28) في عام 2005 أصدر رئيس وزراء المملكة المتحدة السيد توني بلير وملك البحرين المعظم الشيخ حمد بن عيسى بن سلمان آل خليفة بيانا مشتركا قالا فيه أن البلدين لديهما علاقة قوية ودافئة وطويلة الأمد ومتجذرة في صداقتهما على مر السنين.

ولذلك سيتم تناول مشكلة البحث من خلال **ثلاثة مباحث متكاملة**، تظهر الدور الذي لعبه المستشار البريطاني تشارلز بلجريف، في تأسيس دولة البحرين الحديثة، ومكانته السياسية في البلاد.

أولا: واقع النفوذ البريطاني في البحرين قبل تعيين تشارلز بلجريف (1880-1925)

تم تعيين السير تشارلز بلجريف مستشارا لحكومة البحرين في عام 1926، وكان ذلك في عهد الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة (1872-1942)، حاكم البحرين في ذلك الوقت، وقد تزامنت الحقبة التي تم فيها تعيين تشارلز بلجريف مع تعاظم نفوذ الإمبراطورية البريطانية في العالم بوجه عام، وفي منطقة الخليج بوجه خاص.[29] وتعزو الباحثة أسباب السيطرة البريطانية في الخليج العربي إلى الموقع الجغرافي الاستراتيجي للمنطقة؛ كونها تمثل خط التجارة الأقصر والأكثر أهمية وأمنا من الهند بصفتها سوقا أساسية للمنتجات الإستهلاكية الواردة إلى أوروبا؛ مما دفع البريطانيين إلى المحافظة على سلامة الخليج وحماية التجارة، وكذلك منع الفرس والسعودية من ملء الفراغ الذي سببه انهيار الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (1918)، وتنمية طريق الخليج بحرا إلى الهند، وضمان الاستقرار الداخلي في المنطقة عن طريق توقيع بريطانيا للاتفاقيات مع المشايخ الخليجية، والهيمنة على القوى المحلية والإقليمية، وبسط سلطتها. وكان هذا هو الحال منذ أواخر القرن السابع عشر؛ حيث وصلت بريطانيا إلى حوض الخليج، وترسّخ الوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر.[30]

ولتعزيز سيطرتها على دول الخليج العربي، قامت بريطانيا بتوقيع «معاهدة السلام العامة» مع جميع شيوخ الخليج في عام 1820، والتي كرسّت الوجود البريطاني في الخليج، ثم قامت بتوقيع «المعاهدة المُانعة الأولى» في عام 1880،[31] مع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1896 – 1932)، حاكم البحرين؛ ذلك أن الدولة العثمانية كانت تعتزم تحويل البحرين إلى مُعتمدية سياسية، فضلاً عن أن البحرين كانت محط اهتمام بعض الدول الأجنبية كمركز تجاري، وهذا ما لا تقبلهُ بريطانيا. وعندما تجدّد النشاط الفارسي والعثماني، والفرنسي، في البحرين، عقدت بريطانيا «المعاهدة المُانعة الثانية»،[32] مع حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي في 13 مارس 1892، وتتضمّن نصاً يمنع يحرّم على شيخ البحرين التنازل عن أيّ جزء من أراضيه لأي دولة أجنبية باستثناء بريطانيا أو عقد أي اتفاقيات أو الدخول في اتصالات مع أي دولة أجنبية عدا بريطانيا. وبذلك أصبحت البحرين تحت الحماية البريطانية المباشرة؛ مما دفع بريطانيا للتدخل المباشر في الشئون الداخلية للبحرين. وبحسب ما جاء في المذكرات اليومية لتشارلز بلجريف،[33] فحينما أصبح الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وليا للعهد (1923)، ومن أجل معاونته في أداء عمله الجديد في جعل البحرين مواكبةً لركب الحضارة الجديدة، أعرب عن رغبته في أثناء زيارته لأول مرة لإنجلترا في

(29) الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926-1957)*، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2000*، ص. 256.

(30) الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926-1957)*، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2000*، ص. 255.

(31) وقع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين، في 22 ديسمبر 1880، معاهدة المُانعة الأولى مع المقيم البريطاني الكولونيل روس، حيث تعهد فيها بعدم الدخول في مفاوضات أو اتفاقيات من أي نوع مع أيّ دولة غير بريطانيا، إلا بعد الحصول على موافقة الدولة البريطانية. وعلى أثر ذلك، دخلت البحرين في الحماية البريطانية بشكل رسمي، وحصلت بريطانيا على المشروعية الدولية لتحكم العلاقات الخارجية للبحرين، عبد الله، محمد أحمد، وزين العابدين، بشير، تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002)، مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين، مملكة البحرين. 2009، ص. 168.

(32) تم توقيع معاهدة المانعة الثانية بين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين والرائد البريطاني تالبوت، في 13 مارس 1892، وفيها تعهد حاكم البحرين بعدم عقد اي مفاوضات أو اتفاقيات وعدم الدخول في أي اتصال من أي نوع هو وابنائه وذريته مع أي دولة أجنبية ما عدا بريطانيا، وهذا ما كرس الوجود البريطاني في البحرين، عبد الله، محمد أحمد، وزين العابدين، بشير، تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002)، مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين، مملكة البحرين. 2009، ص. 169.

(33) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 17.

توظيف شخص إنجليزي كمستشار له، ونظرا لعدم توفّر الشخص المناسب لهذا المنصب، رأى الوكيل السياسي، الميجور كلايف ديلي،[34] أن ينشر إعلانا عن تلك الوظيفة بصحيفة التايمز البريطانية. وفي مكتب الهند بلندن، والذي كان يختصّ بشؤون الخليج، التقى تشارلز بلجريف بالسير آرثر بارثمان،[35] المستشار السياسي لوزير الخارجية البريطانية لشئون الهند، الذي أعرب عن قبوله لبلجريف لشغل منصب مستشار الشيخ حمد، وقد وافق بلجريف على شروط التعيين وأصبح مستشاراً لحاكم البحرين.

ويتضح مما سبق أن تعيين السير تشارلز بلجريف مستشارا لحاكم البحرين جاء نتيجة للتدخل البريطاني في شئون الخليج، والذي حدث في أواخر القرن التاسع عشر، على الرغم من وجودهم السياسي والعسكري قبل ذلك الوقت بفترة طويلة. وكان سبب تدخلهم المباشر هو التنافس البريطاني - البرتغالي على السيادة في المياه الشرقية،[36] ورغبتهم في الحفاظ على الخليج كممر مائي مفتوح لهم، وكأقصر طريق يربط الهند ببريطانيا، وبخاصة بعد احتلال نابيلون بونابرت لمصر في صيف عام 1798. ومع أن البريطانيين أقنعوا السيد سعيد البوسعيدي سلطان عُمان (1791 – 1856) بالتحالف عبر الاتفاق معهم، وكان هذا الاتفاق يمثل أول علاقة مباشرة بين السلطة البريطانية ودولة عربية في الخليج بهدف الحد من استشراء نفوذ البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين، إلا أنهم سرعان ما تبيّنوا الفوائد التي يمكن أن يجنوها تجاريا وسياسيا بالدخول في اتفاقات ثنائية مع الأنظمة السياسية العربية في منطقة حوض الخليج.[37] ففي العقد الأول والثاني من القرن التاسع عشر، زعمت بريطانيا قيام قبائل القواسم الخليجية بالهجوم على سفنها، واتخذت من ذلك ذريعة لمطاردة القواسم وتهديد من يأويهم، فجهّزت ثلاث حملات عسكرية متعاقبة، تمخّضت في نهاية المطاف عن تحطيم أسطول القواسم في رأس الخيمة، وتوقيع اتفاقية السلام العامة، سابقة الذكر، لعام 1820 بين السلطات البريطانية في فارس ورؤساء القبائل القاطنة على الساحل الشرقي المُطل على الخليج. وقد وقعت البحرين هذه الاتفاقية كدولة مستقلة غير خاضعة لسيطرة أو حماية أي دولة أخرى؛ ذلك أن الشيخ سلمان وأخيه الشيخ عبد الله، أبناء أحمد الفاتح، وجدا أن هذه المعاهدة تخدم أغراضهما في تسيير التجارة في منطقة الخليج.[38]

إن مجمل هذه الأوضاع قد استدعت تدخلا مستمرا من بريطانيا لمنع ضمّ البحرين إلى أيّ دولة أجنبية. وبعد وفاة الشيخ عبد الله الفاتح، أصبح الوضع حرجا نظرا لتوتّر العلاقات السياسية بين البحرين والدول المجاورة، وازدياد مطالبة السعوديين والفرس والأتراك بامتلاك الجزيرة؛ مما أدى إلى زيادة اهتمام بريطانيا وتدخلها بصورة مباشرة في الشئون الداخلية للأرخبيل لإنهاء هذه المشاكل.[39]

وخلال القرن التاسع عشر، وطوال المائة والخمسين عاما التالية، حافظت بريطانيا على الخليج كبحيرة بريطانية. فمع تطوّر وسائل المواصلات، نما نفوذ الإنجليز ومصالحهم باضطراد خلال الأعوام الأولى من القرن العشرين. فعلى أثر احتلال الدولة العثمانية لمنطقة شرق الجزيرة العربية عام 1871، وضع الإنجليز خططهم التي

---

(34) كلايف ديلي: المقيم السياسي البريطاني لشؤون الخليج العربي، وقد تم نقل المقيمية السياسية من بوشهر في فارس إلى إمارة البحرين بعد الحرب العالمية الأولى. وقد تم تعيين الميجور ديلي في الفترة ما بين (1921 – 1926)، وكان دوره إدارة الشؤون الخارجية للبحرين حسب اتفاقيتي الممانعة الاولى 1880 والثانية 1892. عبد الله، محمد احمد، زين العابدين بشير، تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002)، مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين، مملكة البحرين. 2009، ص. 169.

(35) عمل آرثر بارثمان مساعدا لوزير شؤون الهند لدى الحكومة البريطانية. الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1957-1926)*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2000، ص. 26.

(36) Standish, J. F. British Maritime policy in the Persian Gulf. *Middle East Studies.* 1967. p. 35.

(37) الرميحي، محمد. *البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي*. دار الجديد. بيروت. ط4. 1995. ص. 33.

(38) الرميحي، محمد. *البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي*. دار الجديد. بيروت. ط4. 1995. ص. 31.

(39) طهبوب، فائق حمدي. *تاريخ البحرين السياسي (1870-1783)*. منشورات ذات السلاسل. الكويت. ط1. 1983، ص. 245.

تحول دون امتداد سيطرة الأتراك إلى البحرين. وعلى هذا الأساس، وقع الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (1932-1869)، في 22 ديسمبر 1880، معاهدة المُمانعة الأولى سالفة البيان مع المقيم البريطاني الكولونيل روس، وعلى أثر ذلك، دخلت البحرين في الحماية البريطانية بشكل رسمي. وفي عام 1892، تواجد الأسطول الأمريكي والياباني في حوض الخليج؛ حيث أن أمريكا كانت قد حصلت على استقلالها من التاج البريطاني عام 1876، وأن ثورة ميجي الإصلاحية قد اندلعت في اليابان عام 1868؛ فاعتقد المقيم البريطاني، الرائد تالبوت،[40] أن نصوص اتفاقية الممانعة الاولى 1880 غير كافية لحماية المصالح البريطانية، فعمدت بريطانيا إلى توقيع معاهدة الممانعة الثانية؛ والتي تنص على التزام حاكم البحرين بعدم تأجير أو بيع أو رهن أو السماح باحتلال أي جزء من أراضيه إلاّ للحكومة البريطانية. وقد وقعت بريطانيا اتفاقيات مماثلة في الوقت نفسه مع شيوخ الإمارات الخليجية الأخرى. كما تعهد الشيخ عيسى بن علي للمقيم البريطاني في الخليج آرثر تريفور [41] بألاّ يقوم هو، ولا يعطي الآخرين الحق، في استغلال موارد البلاد الاقتصادية دون استشارة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، وبدون موافقة الحكومة البريطانية، وكان ذلك في عام 1914.[42]

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، استخدمت بريطانيا الخليج، بموجب الاتفاقيات المُوقعة مع شيوخ الخليج، كقاعدة عسكرية للانقضاض على العراق، وقد زادت المطامع البريطانية في الخليج بشكل أكبر وأوسع بعد أن تم اكتشاف النفط في إيران عام 1908.[43] ومن خلال نشاط الوكلاء السياسيين البريطانيين في البحرين، ابتدأ النفوذ البريطاني يقوى شيئا فشيئا في البلاد، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى عام 1918 حتى كان هذا النفوذ قد وصل إلى التدخل في الشئون الداخلية للإمارة، وأصبح الوكيل السياسي البريطاني هو الحاكم الفعلي.[44] ومنذ عام 1926، أصبح الوكيل السياسي، الضابط البحري الإيرلندي الميجور كلايف ديلي، وكيلا في بوشهر، ولكنه كان مسئول الحكومة الهندية لبريطانيا في كل دول الخليج، ومنها البحرين، حيث ركز في سياساته العامة على ضمان الاستقرار الداخلي لدول الخليج كشرط لنمو التجارة واستخراج النفط.

ويتضح مما تقدّم أعلاه أن قرار تعيين تشارلز بلجريف مستشاراً لحاكم البحرين قد جاء نتيجة للسعي المحموم من جانب بريطانيا لتعزيز نفوذها السياسي والعسكري في دول الخليج العربي من خلال توقيع المعاهدات والاتفاقيات مع شيوخها، وانتهاج سياسة الأمر الواقع، وإضعاف نفوذ الدول الأجنبية وسلطتها في المنطقة؛ الأمر الذي منح بريطانيا حق التدخل المباشر في الشئون الداخلية لدول الخليج العربي، ومن ضمنها البحرين، ووضعها تحت الحماية العسكرية البريطانية المباشرة.[45]

ثانيا:دور بلجريف في عهد الحاكم الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (1926-1942)

في أثناء الزيارة الأولى للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (1872-1942)، حاكم البحرين، لإنجلترا عام 1925، كما سبق ذكره، أعرب الشيخ عن رغبته في توظيف شخص إنجليزي مستشاراً له، ونظرا لعدم توفّر الشخص

(40) تقلد الرائد أيلبرت سيسيل تالبوت منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي (1891 – 1892)، عبد الله، محمد أحمد، زين العابدين بشر، تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002)، مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين. 2009، ص168.

(41) تقلد المقدم آرثر برسكوت تريفور منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في الفترة من نوفمبر 1920 – أبريل 1924.

(42) طهبوب، فائق حمدي. *تاريخ البحرين السياسي (1870-1783)*. منشورات ذات السلاسل. الكويت. ط1. 1983، ص. 249.

(43) الرميحي، محمد. *البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي*، ص. 41.

(44) Hay, Rupert & Eller, Ernest M. *The Persian Gulf States*. Middle East Institute. Washington. 1959. p. 20

(45) بلجريف، روبرت، *تشارلز داليرمبل بلجريف*، 1985، ص. 40.

المناسب لهذا المنصب، رأى الوكيل السياسي، الميجور كلايف ديلي، أن ينشر إعلانا عن تلك الوظيفة بصحيفة التايمز البريطانية. وعلى أثر ذلك، وصلت برقية من وزير الدولة للهند في لندن إلى الشيخ حمد تطلب منه تكليف كلايف ديلي، وهو آخر الوكلاء البريطانيين في البحرين، للبحث عن ضابط بريطاني كمستشار مالي، وكان ذلك بتاريخ 17 سبتمبر 1925.[46] اوتطلب البرقية أيضا من الحكومة الهندية الأذن الرسمي لتكليف تشارلز داليرمبل بلجريف كأنسب شخص للقيام بهذه المهمة، فهو ضابط إداري مبتدئ، غادر تانجانيقا عاصمة تنزانيا تمهيدا للاستقالة في 31 أغسطس 1925، وكان يجيد التحدث باللغة العربية والسواحلية والفرنسية، وقد خدم في مصر بكفاءة بصفته مدنيا كما لو كان عسكريا، ويعتبر ضليعا في المرافعات الجنائية والقوانين المدنية. وكانت الوظيفة التي عُرضت على تشارلز بلجريف وقَبَلها هي أن يكون مستشارا للحاكم وليس ضابطا إنجليزيا، وألا يعمل في التجارة. وكان مدة عقد العمل أربع اعوام، وقد وقعه تشارلز بلجريف حال وصوله إلى البحرين في 1 مارس 1926، وكان أحد شروط التعيين هو ألاّ يأخذ بلجريف إجازة إلا بعد إكمال اربع اعوام من العمل، لكنه بعد أن جرب صيف البحرين، طلب من الشيخ حمد أن يعيطه إجازة مرة كل سنتيّن، وقد وافق الشيخ على ذلك، وظل بلجريف مستشاراً للحاكم حتى عام 1933، وبعد ذلك أصبح مستشاراً لحكومة البحرين حتى رحيله من البلاد.[47]

وعنما وصل تشارلز بلجريف إلى البحرين عام 1926، أقام في منزل مؤقت قديم قبل أن يستقر مع زوجته مارجوري في منزله الجديد الفاخر بالقلعة.[48] وبفضل تعامله مع الحاج صقر الزياني، رئيس مكتب الشيخ حمد، اكتسب السير تشارلز بلجريف الطريقة التي يجب أن يتعامل بها مع كل شخص بحسب مكانته الاجتماعية. وفي ذلك الوقت، لم يكن يوجد بالبحرين سوى مدرسة حكومية واحدة، أما البلدية فكانت بالمنامة، ويرأسها الشيخ حمد بنفسه، وكان معظم الموظفين والكتاب في المكاتب الحكومية من الهنود، وكان لدى البعثة التبشيرية الأميركية مستشفى صغير باسم مستشفى الملكة فكتوريا التذكاري (1902)، ولم تكن طرق المدينة معبّدة وصالحة للسير فيها، أما بالنسبة للبيوت، فقد كان معظمها مصنوعا من سعف النخيل والحصر، وكان الناس يشربون الماء المتدفق من العيون الطبيعية.[49]

وقد تميّز السير تشارلز بلجريف بعدة خصال شخصية مهمة، ساعدته في أن يصبح شخصا موثوقا لدى حكام البحرين، ومطلوبا لتقديم الاستشارات والخدمات المطلوبة منه، وأهمها التفاني في العمل، والإخلاص في خدمة الحاكم لكسب ثقته ورضاه. كما تحلى تشارلز بلجريف بالصبر والحكمة والهدوء في التعامل مع الآخرين، فكان لا يرفع صوته أبدا على الحضور، ويلتزم أحيانا الصمت عند مناقشة القضايا المهمة. [50] كما تميّز تشارلز بلجريف أيضا بقدرته على ملاحظة الأشياء الصغيرة، ورصد التفاصيل الدقيقة (طول الحجرة، عدد الصبية الذين أحضروا طعام العشاء، حركة المراكب، الخ)، ووصف العادات والتقاليد (أنشطة الشيوخ، كاستقبال الشيخ حمد للمواطنين دائما بعد الإفطار، وهواية القنص لديه، وحفل تتويجه حاكما للبلاد، وسلوك الغواصين وتجار اللؤلؤ، ومراسم الزواج، والسوق، الخ).[51] وكان الوصف الدقيق للأشياء والأحداث والناس والمواقف الاجتماعية مصحوبا بالتندّر والطرافة، فقد كان تشارلز بلجريف يسخر مثلا من الأشخاص الذين تعينهم بريطانيا وكلاء سياسيين، ويعتبرهم «مصدر أذى

(46) الرميحي، محمد. *البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي*، ص. 43

(47) بلجريف، روبرت، *تشارلز داليرمبل بلجريف*، 1985، ص. 46.

(48) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014. ص19.

(49) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 34.

(50) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014.

(51) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 53.

كبير»، مثلما كان يميل للحكم على أطباع الأشخاص ومعتقداتهم منذ اللقاء الأول بهم، ويدوّن انطباعاته عنهم بمجرّد أن يتحدث إليهم، كما حدث مثلا مع برات، خليفة الميجور ديلي، وزوجته، والذين «سُرعان ما اكتشف تشارلز بلجريف أنهما يفتقران إلى الفطنة».[52]

غير أن سلوك تشارلز بلجريف يوحي بأنه كان يتعامل مع المواطنين البحرينيين بمسحة من الدونية والاستعلاء، فحينما تعرّف بعد أربعة أيام من وصوله إلى البحرين بالميجور النيوزلندي فرانك هولمز، والذي كان يمثل شركة بريطانية صغيرة حصلت لاحقا على امتياز للتنقيب عن النفط وحفر الآبار في البحرين، وصف هولمز بأنه رجل واسع الخبرة والمعرفة «ينطوي سلوكه على قدرة كبيرة في التعامل مع العرب، فهو يستطيع التفاهم جيدا مع المواطنين البحرينيين الذين تعودوا على طريقته في الصراخ في وجوههم بل وضربهم على ظهورهم أحيانا»، وكان «يحمل عصا يستخدمها للمشي ويضرب بها سائقه إذا أسرع أو أبطأ كثيرا»، ويتباهى بأنه «يعطي خدَمَه أجورا إضافية مقابل معاملتهم بمثل هذه القسوة».[53] كما كان تشارلز بلجريف يعتقد أيضا أن الشعور بالعرفان صفة نادرة بين البحرينيين (بناء على قلة عدد الأشخاص الذين جاءوا لتوديع الميجور ديلي عام 1926)، فهم بطبيعتهم «غير عاطفيين، وماديّون، وكثيرو السخرية وإعابة الآخرين، وهم لا يحتملون تطبيق النظام، ويعارضون أي شيء يحدّ من حريتهم الفردية، حتى لو كان ذلك الشيء لمصلحتهم».

وكان تشارلز بلجريف يؤدي وظائف متعددة في الوقت نفسه؛ فبصفته مستشارا لحاكم البحرين، كان يرافق الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في مجلسه وزياراته، ويقدم النصيحة والمشورة له حول القضايا المحلية؛ وبصفته قائدا للشرطة (تم تأسيس جهاز الشرطة في البحرين عام 1919)، كان يتحرّى الحقائق عن الأحداث الخطيرة (كحادثة إصابة الميجور ديلي بالرصاص على يد شرطي بلوشي عام 1926) ويقوم بمتابعتها مع الجهات المختصة، ويتخذ إجراءات لحماية الناس وتهدئتهم (كحراسة أفراد الشرطة الخيّالة للمنامة بعد حادث الميجور ديلي)؛ وبصفته قاضيا في المحكمة، كان بقوة القانون يمنع ابتزاز الناس واستغلالهم لأموال الآخرين.[54]

وفي بداية تعيينه، تولّى تشارلز بلجريف منصب «**المستشار المالي**»، حيث كان الشيخ حمد بن عيسى، حاكم البحرين، يُطلعه على المسائل المتعلقة بالدولة، وكذلك على أموره الشخصية، كطلبات الهبات المالية وهبات الأراضي، رغم الضعف الشديد لإيرادات البلاد في تلك الفترة. وقد أعطى الشيخ حمد لتشارلز بلجريف حرية التصرف، لكنه «كان يعترض على ما يقترحه تشارلز بلجريف من إجراءات قد لا تؤيدها الأسرة الحاكمة أو لا تنال رضا الشعب»، ومع ذلك، كان الشيخ حمد يتحمل مسؤولية أي عمل تقوم به الحكومة، وكان يتسلم الشكاوى والتظلّمات المكتوبة من المواطنين ويدفع بها إلى تشارلز بلجريف، «ويطلب منه دراستها، ووضع حلول لها، ثم إبلاغه بها لكي يتناقشا سوية ويقررا ما يريدان»، لكنه كان أيضا «يبحث الكثير من شئون البلاد مع شقيقيّه الشيخ عبد الله والشيخ محمد، ومع نجله الأكبر الشيخ سلمان».[55]

أما أول وظيفة أوكلها الشيخ حمد للسير تشارلز بلجريف، فكانت **منصب القاضي** في محكمة البحرين (1926)، حيث كان لدى بلجريف خبرة سابقة بعمل المحاكم في مصر، فضلا عن اجتيازه امتحانيّن في القانون أثناء خدمته العسكرية. ووجد تشارلز بلجريف أن «البحرين لم تكن فيها قوانين مكتوبة، بل كانت الأحكام تعتمد على الحدس والفطرة السليمة». وكان تشارلز بلجريف يقضي في المحكمة ثلاثة أيام بالأسبوع، يتخذ خلالها «أحكاما تتسم بالتسرّع من أجل تسيير الأمور البسيطة»، وقد تقلّصت هذه الفترة إلى «مرة واحدة في الأسبوع بعد تعيين الشيخ

(52) بلجريف، روبرت، *تشارلز داليرمبل بلجريف*، 1985، ص. 50.

(53) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 26.

(54) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص.65 و 80.

(55) بلجريف، روبرت، *تشارلز داليرمبل بلجريف*، 1985، ص. 76.

سلمان بن حمد قاضيا في المحكمة، وامتلاء المحاكم بالموظفين والملفات وتأخر البتّ في القضايا القانونية العالقة لفترة طويلة».[56]

وحيث أن معظم القضايا كانت تتعلق بمشاكل الغوص، فقد قام تشارلز بلجريف **بسنّ قانون للغوص** يشمل جميع القوانين القديمة غير المكتوبة، وكذلك القوانين الجديدة غير المعروفة، وكان يمرِّر قضايا الزواج والميراث إلى القضاة الشرعيين، أما قضايا الجمارك فيتم إحالتها إلى مجلس التجارة. وفي الوقت نفسه، كان تشارلز بلجريف **يرأس مجلسا للغوص**، حيث تم تشكيله لمناقشة التعديلات على بنود قانون الغوص، والتي تم استحداثها على أثر إضراب الغواصين لعدم رضاهم عن حجم القروض التي قررت الحكومة صرفها لهم في بداية موسم الغوص للاستعداد للموسم».[57]

في ذلك الوقت، كان جهاز الشرطة في البحرين يضم 200 شرطي أجنبي من الأفارقة السود والبلوش، وحينما عاد قائد الشرطة الإنجليزي إلى بلاده، قرر الشيخ حمد أن يستلم بلجريف **منصب قائد الشرطة** بصورة مؤقتة، لكنه بقي في هذا المنصب حتى عام 1955. وبعد مضي عدة شهور من مجيء تشارلز بلجريف إلى البحرين، تم تسريح الشرطة، وجلب فصيلتيّن من جنود المشاة الهندية إلى البلاد، وبعد فترة وجيزة، تم تشكيل قوة الشرطة من المواطنين البحرينيين، كما تم إنشاء فرقة للفرسان، وفرقة موسيقية للشرطة؛ مما أدّى إلى استتباب الهدوء والأمن وأجواء الفرح في الجزيرة.[58]

وتزامنت السنوات الأولى لتعيين السير تشارلز بلجريف مستشارا للحاكم، مع حدثيّن مفصليّن في تاريخ البحرين، وهما: **تعليم البنات، واكتشاف النفط.** وقد لعبت مارجوري، زوجة تشارلز بلجريف، دورا مهما في بدء تعليم البنات بعد أن أقنعت حرم الشيخ حمد بأهمية الفكرة، وبوجود مدارس للبنات في البلدان الأخرى. ومع أن حشد الدعم لهذه الفكرة كان مهمة شائكة بسبب احتجاج أهالي القرى وبعض الشخصيات المؤثرة في المجتمع على تعليم المرأة وقلة وعيهم بضرورته، إلا أن الشيخ حمد استحسن الفكرة، وتم افتتاح أول مدرسة نظامية حكومية للبنات عام 1928. وبحلول عام 1956، أي قبل مغادرة السير تشارلز بلجريف للبلاد بعام، وصل عدد مدارس البنات إلى 13 مدرسة.[59]

أما الحدث المهم الثاني في تاريخ البحرين فقد كان حفر أول بئر للنفط في مايو عام 1932، وذلك في غمرة الكساد الاقتصادي التي عانت منه البلاد، والذي أدّى إلى انخفاض إيرادات الدولة إلى 50 ألف جنيه استرليني، وأصبح لا يكفي لدفع تكاليف الخدمات والمصاريف الإدارية للبلاد، وفي نفس العام الذي تم فيه تتويج الشيخ حمد حاكما مطلقا للبحرين بعد وفاة أبيه الشيخ عيسى بن علي في 9 ديسمبر 1932، وخلافا لرغبة أبيه الشيخ عيسى الذي كان يمنع منح الترخيص لشركة غير بريطانية، أعطى الشيخ حمد امتيازا كاملا بالتنقيب عن النفط لشركة نفط البحرين المحدودة (بابكو)، والمسجّلة في كندا كشركة أميركية. وقد أفضى إنتاج النفط إلى الزيادة التدريجية لعائدات الدولة؛ مما دفع بلجريف لإقناع الشيخ حمد بإصدار **أول ميزانية تقديرية** للبلاد عام 1938. ومع ازدياد حجم الإيرادات النفطية، وازدهار الوضع الاقتصادي، تحسّن الوضع الصحي في البلاد.[60]

كما تزامنت الأعوام الأولى لتعيين السير تشارلز بلجريف مع تنامي الخطاب الإصلاحي الوطني في البحرين، والذي كان مرتبطا بصورة وثيقة بالحركة الإصلاحية الشعبية في الدول المجاورة، كالكويت والإمارات ومصر والعراق

(56) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014. ص37.

(57) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 26، 42، 73.

(58) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014. ص34.

(59) المزعل، شرف محمد علي. *الخطاب الإصلاحي في البحرين في منتصف القرن العشرين (1950 - 1954)*، 2022.

(60) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 154.

وسوريا، حيث بدأ هذا الخطاب يركز، منذ عام 1934، على المطالبة بحقوق وطنية شاملة لجميع فئات الشعب. ومع حلول عام 1938، وجد امتدادا له في الإعلام العربي، وكانت المطالب الشعبية تتلخص في إنشاء مجلس تشريعي يتألف من 20 عضوا برئاسة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، وتكون بيده جميع شئون البلاد من أحكام وبلديات وجمارك وأمن ومعارف، ويكون المرجع الوحيد للمجلس الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، حاكم البحرين، بالإضافة إلى منع الأجانب (الإنجليز) من التدخل في شئون البحرين، وتجريدهم من كل سلطة.[61] وفي 12 نوفمبر 1938، قام خمسة أفراد يمثلون الطائفتيّن (السنية والشيعية) بتقديم وثيقة مشتركة طلبوا فيها من الحاكم الشيخ حمد تشكيل مجلس للمعارف من ثمانية أعضاء، وإصلاح المحاكم بالقضاء على الطائفية فيها، وإصلاح البلديات، وتأسيس نقابة للعمال، وإنشاء مجلس من ستة أعضاء لتمثيل الأهالي لدى الحكومة، غير أن المقيم السياسي في بوشهر رأى أن أيّ تنازل تحصل عليه الحركة الوطنية في البحرين سوف يعتبر نجاحاً ليس على حساب حكومة البحرين، بل على حساب الحكومة البريطانية أيضا. ويُستشفّ من هذا الموقف تراجع الإنجليز عن خطابهم الإصلاحي في بداية القرن العشرين. وفي ظل الرفض البريطاني، تمثل الموقف الحكومي الرسمي، والذي وافق عليه المقيم البريطاني والمستشار تشارلز بلجريف، في رفض المجلس الاستشاري.[62]

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945)، وتحديدا في الفترة ما بين 1939 - 1940، طرح تشارلز بلجريف نظاما لتوزيع ومراقبة أسعار المواد الضرورية، كالرز والطحين والسكر، عن طريق توزيع حصص متساوية على جميع المواطنين، وبما يحقق العدالة. ومع النجاح المدهش لهذا النظام، تشجّع تشارلز بلجريف لتأسيس **دائرة حكومية لمراقبة المواد الغذائية** برئاسة رئيس الجمارك. وباستثناء التجار، أيّد هذا النظام غالبية الناس، ومع تزايد حالات رفع السعر من بعض التجار، قامت الحكومة بشراء السلع الضرورية وبيعها في محلات خاصة لحملة البطاقات التموينية.[63] وحينما ساءت صحة الشيخ حمد عام1940، قرر أن يعيّن خليفته بكتابة وثيقة سرية لا تُفتح إلاّ بعد وفاته حتى لا يفصح عن ولي العهد ويخلق الشقاق داخل العائلة الحاكمة، وكان تشارلز بلجريف أحد الأشخاص الأربعة الذين كانوا على معرفة بقرار الشيخ حمد. وقد توفي الشيخ حمد إثر نوبة قلبية في 20 فبراير 1942، وتم تعيين ابنه الشيخ سلمان حاكما للبحرين، حيث طلب الشيخ سلمان من بلجريف أن يعمل معه مستشارا كما عمل مع أبيه، ووافق بلجريف على ذلك. ويتضح مما سبق أن السير تشارلز بلجريف لعب دورا سياسيا كبيرا في تاريخ البحرين منذ مجيئه إلى البلاد عام 1926، وكان ذلك في عهد حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة (1872-1942)، حيث كان مستشارا لحاكم البحرين أولا، ثم مستشاراً لحكومة البحرين بعد ذلك، لكنه تقلّد إلى جانب عمله بهذه الوظيفة، مناصب قيادية مهمة؛ فقد كان قاضيا بالمحكمة، وقائدا للشرطة، ومستشارا ماليا، وكان على علاقة وثيقة بالشيخ حمد، فقد كان منتظما في زيارة مجلسه، وتقديم المشورة له في إدارة شئون البلاد، كما رافقه في رحلاته، وحاز على ثقته العالية؛ ممّا ترك أثرا إيجابيا على القرارات التي اتخذها الشيخ حمد في عهده، وعلى تقدم البلاد. غير أن بلجريف ساند موقف الحكومة الرافض لمطالب الحركة الإصلاحية الشعبية في عام 1938، والتي اتخذت طابعا وطنيا شاملا بعيدا عن الطائفية، حيث اعتبرها المستشار تهديدا لمركزه، وللوجود البريطاني بالبحرين، وسوف يتم الحديث عن ذلك بشيئ من التفصيل في المبحث الثالث للدراسة الحالية.[64]

(61) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014.

(62) أمين. عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*، 2014.

(63) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 193.

(64) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 211.

ثالثا: دور بلجريف في عهد الشيخ الحاكم سلمان بن حمد آل خليفة (1942 -1957)

عندما استلم الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة (1942 - 1961) زمام الحكم في البلاد، كان تشارلز بلجريف قد أتم خمسة عشر عاما في عمله مستشارا للحاكم. وحيث أنه برزت أحيانا صعوبات في قبول أفكاره، ومعارضة لمشروعاته التي اضطر إلى تأجيلها أو إلغائها، فقد اتبع طريقة **الإدارة بالأهداف**، والتي تقوم على تحديد الهدف المنشود (المشروع الجديد مثالا)، والحصول على الضوء الأخضر في البداية من حاكم البحرين لتنفيذه، وبعد ذلك القيام بتوضيحه وشرحه لثلاثة من كبار رجال البلد، وبعد إقناعهم بجدواه وتحمسهم ومساندتهم له، كان المستشار يبدأ في تطبيقه.[(65)] وحيث أن السياسة تتأثر بالرغبات والأهواء الشخصية للقائمين على الحكم، فقد تمثلت إحدى المشكلات الإدارية التي واجهها المستشار البريطاني في كيفية التوفيق بين ولائه لحاكم البحرين، الشيخ سلمان بن حمد من جهة، وانتمائه أو تبعيته لبريطانيا، من جهة أخرى. فعند نشوء الخلاف بين الحاكم والإنجليز، كان رأي السير تشارلز بلجريف، في معظم الأحيان، يتفق مع رأي الحاكم. ولكن عندما كانت السلطات البريطانية، في شخص المقيم السياسي في الخليج، ترتكب أمورا غير مقبولة، فقد كان المستشار يقوم بتهدئة الحاكم، وإقناع السلطات البريطانية باتباع طريقة اكثر اعتدالا عندما تجد نفسها مُلزمة بإبداء عدم الموافقة الرسمية. وقد وظف تشارلز بلجريف هذا الأسلوب الإداري بنجاح في إقناع قضاة المحكمة، وكبار رجالات البلد، بتقصِّي الحكومة لموضوع الوصاية وأملاك القاصرين من أجل حماية مصالح وحقوق الأرامل واليتامى والقُصّر ومن في حكمهم.[(66)]

وفي عهد الشيخ سلمان بن حمد، تم وضع اللبنات الأساسية لتشكّل الدولة الحديثة، حيث لعب الشيخ سلمان دورا نشطا في بناء إدارة قوية للبلاد، فقد عمل في السابق قاضيا بالمحكمة ورئيسا لمجلس بلدية المنامة، ورئيسا لدائرة أموال القاصرين. ومع التقلص التدريجي لعدد السفن المتجهة لمغاصات اللؤلؤ عام 1945، وازدياد إيرادات الدولة، عمل الشيخ سلمان على دفع خطط التنمية المختلفة بعد توقفها طيلة فترة الحرب، ومن ضمنها بناء مكاتب حكومية جديدة، كمكتب البترول، وتطوير مرافق الدولة، وتزويد مدينة المنامة بأنابيب المياه، وتحسين الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية، وإحلال الكوادر الوطنية في أجهزة الحكم والإدارة المحلية. وفي عام 1956، تم تأسيس المجلس الإداري باعتباره السلطة التنفيذية في البحرين، وتقرّر التوسع في نظام المجالس البلدية.[(67)]

وخلال فترة حكم الشيخ سلمان، استمر بلجريف، كمستشار للحاكم، في التعامل مع الأمور المالية للدولة، فشارك في مفاوضات مع شركة بابكو لتوقيع اتفاق جديد حول تقاسم أرباح عائدات النفط بالمناصفة عام 1952، وتقلد مناصب شرفيّة، كسكرتير اللجنة البحرينية لسباق الخيل، ورئيس شركة طيران الخليج، ورئيس نادي البحرين للسيارات، كما رافق الشيخ سلمان في زيارته للسعودية عام 1947، وتم تعيين حمد، ابن بلجريف، مديرا للعلاقات العامة في الحكومة عام 1948.[(68)]

وبفضل تنوّع مصادر الدخل القومي الصناعية والمصرفية، وتنفيذ مشاريع البنية التحتية، فقد ساهم النمو الاقتصادي للبلاد في ارتفاع مستوى الوعي السياسي لدى المواطنين، وبروز نخبة من الروّاد المثقفين الذين روّجوا لمفاهيم الحرية والمساواة والعدالة والاستقلال من الاستعمار البريطاني، وكانت منابرهم من الجرائد والمجلات المحلية، والأندية الثقافية والرياضية، مواكبة لحركة النهضة، وحاضنة للتيارات السياسية المتحرّكة، وللفكر القومي العروبي في تلك المرحلة. وحيث أن توقيت الحراك السياسي في البحرين في منتصف القرن العشرين قد تزامن مع تصاعد

(65) صفوة. نجدة فتحي. *الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية*. دار الساقي. بيروت. 2004.

(66) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 216.

(67) عبد الله، محمد أحمد وزين العابدين، بشير، *تاريخ البحرين الحديث*، مركز الدراسات التاريخية، مملكة البحرين، 2009، ص. 144.

(68) بلجريف، تشارلز، *مذكرات بلجريف*، 2002، ص. 270.

حركات الوعي والتنوير في الوطن العربي، فقد أدى ذلك إلى النمو المبكر للوعي القومي للمواطنين، وهيمنة الأفكار المؤيدة للقومية العربية، والمُنتقدة للسياسات الاستعمارية، ولوجود الشركات النفطية الأجنبية في البلاد.[69]

وفي ظل نمو الوعي السياسي المطلبي، حدثت في 20 سبتمبر 1953 بعض المناوشات بين أتباع الطائفتيّن الكريمتيّن (السنيّة والشيعيّة) في البحرين. ويرى بعض الباحثين أن تشارلز بلجريف كان مُتهما رئيسا بأنه كان يقف وراء تلك المناوشات والأحداث، لكن المستشار البريطاني أجتمع مع وجهاء الطائفتين في 21 سبتمبر 1953 للذهاب إلى القرى والبلدات لتهدئة المواطنين؛ مما جعل البعض يصرح بأن تشارلز بلجريف أصبح بديلا للسلطة البحرينية التي فقدت السيطرة على البلاد. وفي 13 أكتوبر 1953، وفي رسالة سرية إلى أنتوني إيدن وزير الخارجية في لندن، يقترح المقيم السياسي بوروز اللجوء إلى الحل الأمني، وذلك بالاتفاق مع المستشار تشارلز بلجريف، بتقوية جهاز الشرطة وتدريب أفرادها بشكل أفضل. [70] وكان تشارلز بلجريف، بصفته رئيسا للشرطة، يسعى بالتعاون مع الحكومة إلى احتواء الاضطرابات الداخلية، غير أنها كانت خارج نطاق السيطرة، حيث امتدت من المنامة إلى المحرق، وتحولت إلى إضراب شامل لعمال شركة بابكو في 3 يوليو 1954، شارك فيه 2500 شخص.[71] غير أن تشارلز بلجريف لم يكن يعتقد بأن الزعماء في هذه الحركة يملكون أية قوة؛ لكنهم وحدهم يملكون اليوم الخطاب الديمقراطي، والذي يؤيده الأشخاص الواعون من شعب البحرين.[72] وفي 28 أكتوبر 1954، طالبت هيئة الاتحاد الوطني بإنشاء مجلس تشريعي يمثل كل فئات الشعب بالانتخاب الحرّ، لكن الحكومة رفضت هذا المطلب بينما تنازلت بالنسبة للمطالب الأخرى، وهي إصلاح القضاء والقانون المدني والجنائي، والسماح بالنقابات، وتأسيس محكمة استئناف،[73] لذا قرّرت هيئة الاتحاد الوطني إعلان الإضراب العام في البلاد؛ مما دفع الحكومة للإعلان عن بعض الإصلاحات، لكن هيئة الاتحاد الوطني طالبت بإصلاح الأوضاع الاجتماعية للمواطنين من الداخل، والحدّ من طموحات الاستعمار في الهيمنة على مقدّرات البلاد.

وضمن هذا السياق التاريخي، لعبت الصحف والمجلات الوطنية، كمجلة «صوت البحرين»، دورها في التأكيد على المطالب الشعبية التي تبنتها هيئة الاتحاد الوطني، ومنها وضع حد لسلطات تشارلز بلجريف كرمز لهيمنة الاستعمار البريطاني، وحينما وجد تشارلز بلجريف أن مطالب هيئة الاتحاد الوطني (1956-1954) تهدِّد منصبه ومستقبله كمستشار لحاكم البحرين يمتلك صلاحيات واسعة في القضاء والشرطة والأمور المالية، فقد كان رد فعله عليها عنيفا، حيث اقترح على الشيخ سلمان في 5 نوفمبر 1956 اعتقال زعماء هيئة الاتحاد الوطني فوافق، حيث تم اعتقال عبد الرحمن الباكر، وعبد العزيز الشملان، وعبد علي العليوات،[74] وتم نقلهم إلى جزيرة جدة تحت حراسة القوات البريطانية، وعمد تشارلز بلجريف إلى نشر مادة طويلة في هيئة الإذاعة البريطانية لتوضيح سبب اعتقال زعماء الهيئة، مؤكدا على عدم وجود نيّة لإلغاء هذا القرار،[75]

(69) المزعل، شرف محمد علي. *الخطاب الإصلاحي في البحرين في منتصف القرن العشرين (1950 - 1954)*، 2022.

(70) أمين، عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*. محاضرة في جمعية تاريخ وآثار البحرين. 2014.

(71) مركز البحرين لحقوق الإنسان، *يوميات تشارلز بلجريف (1957-1926)*، ص. 198.

(72) أمين، عيسى. *البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965*. محاضرة في جمعية تاريخ وآثار البحرين. 2014.

(73) المزعل، شرف محمد علي. *الخطاب الإصلاحي في البحرين في منتصف القرن العشرين (1950 - 1954)*، 2022.

(74) تشكلت الهيئة التنفيذية التي كان أعضاؤها من كافة أطياف الشعب البحريني 1954 لمقاومة الوجود البريطاني في البحرين والمطالبة بالاستقلال، حيث تم اعتقال أعضائها في 195. عبد الله، محمد احمد، وزين العابدين بشير، *تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002)*، مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين، مملكة البحرين. 2009، ص. 177.

(75) مركز البحرين لحقوق الإنسان، *يوميات تشارلز بلجريف (1926 – 1957)*، ص. 307.

ولما كان تشارلز بلجريف، كمستشار لحاكم البحرين، يمتلك صلاحيات قانونية واسعة، ويميل إلى الاستبداد بالقرار السياسي، والإنفراد باتخاذه دون التشاور المسبق مع وزارة الخارجية البريطانية، وأخذ موافقتها قبل تنفيذه، فإن هذا السلوك الإداري تسبّب في إحراج الحكومة البريطانية بوجه عام، وأثار حالة من الاستياء والسخط لدى وزارة الخارجية البريطانية، حيث تساءلت عما إذا كانت محاكمة زعماء هيئة الاتحاد الوطني تتم وفق مبادئ حقوق الإنسان، وفي 7 فبراير 1957، تنصّلت من دعمها للمستشار البريطاني السير تشارلز بلجريف، زاعمة أنه لا ينتمي إلى البريطانيين.[76]

إن مجمل هذه التطورات قد أثارت القلق لدى السير تشارلز بلجريف حول مستقبله السياسي، ولكن موقف الإنجليز وتشارلز بلجريف والحكومة أصبح موحدا في مارس 1956م؛ ولذلك تم وضع خطة لاعتقال أعضاء هيئة الاتحاد الوطني بتهمة التحريض على العنف. وفي 26 يوليو 1956، خرجت جماهير البحرين بقيادة الهيئة في مظاهرة احتجاج على العدوان الثلاثي على مصر، وحصلت أعمال شغب وعنف؛ مما أعطى الإنجليز المبرّر لاعتقال قادة الهيئة ونفيهم إلى الخارج. ومع تصفية الهيئة، كان تشارلز بلجريف قد عرف أن نهايته قادمة أيضا بعد أن تعمّدت دار المقيمية البريطانية إزاحته أثناء حوارها مع هيئة الاتحاد الوطني بعد أن أصبح السبب الرئيس في كل ما حصل في البحرين، فكان لا بدّ له من تقديم استقالته نتيجة لما تعرّض له من ضغوط من قبل الدوائر البريطانية، وفي عملية مقصودة من قبلهم لإحراج حكومة البحرين، وإقناع هيئة الاتحاد الوطني بأن دار المقيمية البريطانية هي التي تقرر مجريات الأمور في البحرين، حيث كانت بريطانيا تحاور طرفا على حساب الطرف الآخر. وبالنتيجة، عاد السير تشارلز بلجريف إلى بلاده في 18 أبريل 1957.[77]

المناقشة:

على مدى أكثر من ثلاثين عاما (1926-1957)، كان تشارلز بلجريف، المستشار البريطاني لحكومة البحرين، أكثر شخصية جدلية في تاريخ البحرين الحديث، حيث يختلف عليه البحرينيون وذلك لكونه بريطانيا، وضابطا سابقا في الجيش البريطاني الذي فرض الحماية على البحرين لمدة تصل إلى مائة عام، وهذه الازدواجية بين هويّته التي تمثل المستعمر البريطاني وبين وظيفته التي تتطلب الولاء والإخلاص لحكومة البحرين، أوقعت المؤرخين في جدل مستمر حول ما إذا كان تشارلز بلجريف كان يعمل فعلا مستشارا لخدمة حكومة البحرين، ويسعي لتطوير البحرين وتحديثها، ويدرك مكامن الخلل في بعض الدوائر الحكومية لكنه لم يقدم الحل البديل؛ أم أنه كان يمثل اليد التي كان يستخدمها المستعمر البريطاني للتسلط على الشأن البحريني، وضمان الحفاظ على الخليج العربي، والذي كان بالنسبة لبريطانيا «مصدرا للنفط، وكانت البحرين ذات موقع استراتيجي هام في الهند والشرق وبدونها لا يمكنها القيام بأعمالها ومهماتها؛ فيجب ألاّ تفقدها».[78]

ولحل هذه الإشكاليّة، ترى الباحثة أنه من الضروري مناقشة وجهات النظر المتباينة بصورة موضوعية محايدة. فمن جهة، لا يجوز التغافل عن هويّة تشارلز بلجريف البريطانية التي تجعله ينحاز بشكل تلقائي لمصلحة بلاده العليا، وكذلك عن سلوكياته ومواقفه، حيث أنه لم يتوان في إبداء القسوة تجاه البحرينيين طوال مسيرة حياته المهنية كمستشار للحاكم، وهو ما تمثل في دوره في إصدار الأحكام القاسية عام 1956على أعضاء هيئة الاتحاد الوطني المُطالِبة بالحد من سطوة المستعمر البريطاني وتسلطه، ويؤكد ذلك أيضا ما سرده تشارلز بلجريف نفسه في سيرته الذاتية عن البحرينيين، حيث غالبا ما يجد المرء فيها بعض الألفاظ والمُسميات التي تنم عن قلة الاحترام

(76) مركز البحرين لحقوق الإنسان، *يوميات تشارلز بلجريف (1926-1957)*، ص. 332.

(77) الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926-1957)*، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2000*، ص. 421.

(78) الخليفة، مي، *تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926-1957)*، *المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000*، ص. 118، 354.

والسخرية والإهانة لكافة فئات المجتمع البحريني، وتعبر عن عقلية الاستعلاء والغطرسة لدى المُستعمر البريطاني تجاه الشعوب التي عانت من سطوته وتسلطه.

ومن جهة أخرى، فإن الموضوعية في الطرح تقتضي من الباحث التاريخي الإقرار بمساهمة تشارلز بلجريف في التنمية التي جعلت البحرين بلدا متميزا عن سواه من إمارات الخليج العربي، ومتقدما عليها من ناحية التطوير المؤسسي والقانوني طوال فترة عمله، حيث أن تشارلز بلجريف شارك في استحداث القوانين، مثل قانون تسجيل الأراضي، وتطوير القضاء وجهاز الشرطة، واستتباب الأمن، وإعداد أول ميزانية للبلاد، مثلما شارك في وضع نظام لتوزيع مداخيل النفط بما يعزز إيرادات الدولة، ناهيك عن تطوير الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية للمواطنين؛ وبالتالي فإن البحرينيين لا يمكنهم إغفال الدور الريادي للسير تشارلز بلجريف في تطوير الصيغة الأولى (المبكرة) للدولة البحرينية، وخروج البحرين من صيغة المشيخة في الحكم إلى صيغة دولة القانون والمؤسسات المواكبة لهيكل الدولة الحديثة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القرارات والأحكام التي اتخذها السير تشارلز بلجريف لم تكن في أغلب الأحيان فردية وارتجالية، بل جاءت ثمرة لتفاعل تأثير القوى الداخلية، مُمثلة في سلطة الحكم في البحرين، بالإضافة إلى قادة الحركة الوطنية البحرينية في منتصف القرن العشرين،[79] والقوى الخارجية، مُمثلة في قوى الاستعمار البريطاني في الخليج العربي. وعند اتخاذ قراره النهائي، كان تشارلز بلجريف، كما سبق ذكره، يسعى قدر الإمكان للتوفيق بين رغبات حاكم البحرين من جهة، وإملاءات الاستعمار البريطاني، من جهة أخرى، وبما يحفظ مصالح الطرفين، ومصلحته في البقاء في وظيفته. أضف إلى ذلك أن تشارلز بلجريف كان يعتقد أن الحكومة لا تستطيع القيام بكل شيء، ولا يمكن أن تنفذ كل المشاريع والمتطلبات الاجتماعية، وعلى الناس أن يدركوا أن التطور لا يأتي من الدوائر الرسمية وحدها، وإنما بالمشاركة الفعالة، وبدخول مجالات الاستقلال الاقتصادي والاستعداد للمغامرة، وكان يعمل من أجل أن تكون دوائر الحكومة مؤسسات تتمتع باستقلالية ونظام.

ولذلك لا يمكننا نحن كبحرينيين أن نتصور أن يتم تدوين تاريخ البحرين بدون ذكر شخصية السير تشارلز بلجريف الجدلية؛ فلو افترضنا عدم وجودها في تاريخ البحرين، فإن هذا التاريخ سيكون مختلفا، فسوف تختفي كل إنجازات تشارلز بلجريف، أو أنها سوف تحدث متأخرة، كما هو الحال في تاريخ الامارات والدول العربية المجاورة للبحرين؛ وبالتالي فإن الواقعية التاريخية تحتم علينا الاعتراف بالدور الإيجابي لتشارلز بلجريف في التنمية والنهضة التي أخرجت البحرين من المشيخة الى الامارة بصورة ريادية على مستوى المنطقة، ودون أن نغفل حقيقة وعي البحرينيين وتقبّلهم للأجنبي، تلك الميزة التي جعلتهم يستثمرون في العدو التقليدي دون وعي منهم بذلك. ويمكن القول بأن العفوية التاريخية قد ولدّت هذه النتيجة من رحم التفاعل والتكامل بين رموز المستعمر البريطاني وأدواته من جهة، والشعوب الرازحة تحت سطوته، من جهة أخرى، وهو ما يعتبر حدثا تاريخيا استثنائيا في البحرين ودول الخليج العربي، ترك أثرا واضحا على مسار التطوّر المستقبلي للبحرين ودول الخليج.

الخلاصة:

خلصت الدراسة الحالية إلى أن السير تشارلز بلجريف كان مستشارا لحاكم البحرين في الفترة من 1926 وحتى 1933، ثم أصبح مستشارا لحكومة البحرين في الفترة من 1934 وحتى 1957، وكان بهذه الصفة، في جميع الأحوال، موظفا حكوميا «لم يصدر أمرا أو قانونا، ولم يعين أحدا، ولم يصرف روبية إلا بكتاب من السلطة الحاكمة»،[80] غير أن الصلاحيات الإدارية الواسعة التي مُنحت له في تسيير شئون الدولة جعلته يعتقد أنه صاحب

(79) ويقصد بهم زعماء هيئة الاتحاد الوطني، كما سبق ذكرهم، وهم عبد الرحمن الباكر، وعبد العزيز الشملان، وعبد علي العليوات.

(80) بلجريف، روبرت. تشارلز داليرمبل بلجريف، 1985، ص. 53.

السلطة المطلقة، وأن جميع من يتعامل معهم في الحكم أدنى منه شأنا ومرتبة وأخلاقا؛ فعليهم أن يستمعوا لنصائحه وإرشاداته وينفذوها، فهو المُطلع بالتفصيل على خفايا الأمور، وعلى المشاريع غير المعلنة للحكومة البريطانية. وربما شكلت هذه الثقة الزائدة في النفس حافزا له لتطوير أجهزة القضاء والشرطة، وتحسين إدارة الشئون المالية والخدمات المقدمة للمواطنين، حتى يستمر الدعم الذي حظى به من حكام البحرين، وتزداد ثقتهم به.

وترى الباحثة أن تشارلز بلجريف لم يكن ليرغب شخصيا في أن يترك انطباعا بأنه سياسي معصوم عن الخطأ، ولا يجوز إذن التعامل معه بهذه العقلية؛ فالباحث التاريخي الجاد لا يحوِّل الشخصيات التاريخية إلى «رموز أسطورية تسكن المدينة الفاضلة الراسخة في العقول»، على حد تعبير علي زيغور،[81] وتجعل الناس ينبهرون بها انبهارا يعمي العيون، ويذهب بالبصيرة إلى مساحات المجهول ومواقع اللاوعي، بل يسعى إلى موضَعة الشخصية في إطارها التاريخي الصحيح، أو في صلب «الاستمرارية التاريخية»، فالتفاعل والتكامل، هما السمتان الرئيستان في حركة التاريخ التي لا تنقطع.[82] وإذا اعتبرنا دور تشارلز بلجريف في تأسيس دولة البحرين الحديثة شاهدا على الإنجازات الجليّة «للحضارة الغربية»، فإنه لا بدّ من «تطوير مفاهيم الحضارة العالمية عبر السياقات المستمرة للتجارب الحضارية المتنوعة، وفي ذلك يكمن سر المعنى الكائن في التاريخ».[83] إن تقييم دور الشخصيات التاريخية لا بد أن يفضي إلى مضامين جديدة، قوامها التكامل في المفاهيم، وتجاوز المراحل السابقة ضمانة للإبقاء على الصيرورة التاريخية، لكن ذلك لا يجب أن يتم من خلال نفي الماضي، ولكن عن طريق «هضم الماضي، وتحديد معطياته ومفاهيمه ومدركاته، ووضع الشخصية في المكان المناسب في السياق التاريخي لكي يكتمل بناء التجربة التاريخية للمجتمع البشري».[84] وبالنتيجة، يمكن استثمار الماضي بكفاءة تامة في بناء الحاضر والتخطيط للمستقبل.

التوصيات:

في ضوء نتائج البحث الحالي، ترى الباحثة أن السياسة البريطانية في دول الخليج العربي في الأعوام الأولى من القرن العشرين لا تزال تمثل تربة خصبة لمزيد من الدراسات التاريخية، وذلك من خلال تركيز الباحثين على تحليل دور الشخصيات التاريخية التي عاصرت فترة تكريس الهيمنة البريطانية في المنطقة، واتخاذ القرارات السياسية الرامية إلى هندسة الأوضاع بما يضمن المصالح البريطانية فيها. وعلى هذا الأساس، توصي الباحثة بإجراء دراسات وأبحاث تتناول شخصيات وطنية بارزة في البحرين ودول الخليج العربي لعبت دورا حاسما في إفشال مخططات الاستعمار البريطاني، وساهمت في حصول هذه الدول على الاستقلال الوطني، وبناء الدولة الحديثة.

المراجع

أولا - المراجع العربية

- أمين، عيسى. البُعد التاريخي لأحداث 1954 – 1965. محاضرة في جمعية تاريخ وآثار
- البحرين، 2014م. تم استرجاع المادة بتاريخ 16 يونيو 2022 من الموقع الإلكتروني: Jasblog.com/wp/?p=6275
- أولداي، لوي. تشارلز بلجريف – المستشار، 2014م. تم استرجاع المادة بتاريخ 16 يونيو 2022 من الموقع الإلكتروني: العربية/تشارلز-بلجريف-المستشار/qdl.qa.

(81) زيغور، علي، *فلسفة الحضارة ومعنية المجتمع والعلائقية*، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1994، ص. 200.

(82) العظمة، عزيز، *الأصالة أو سياسة الهروب من الواقع*، دار الساقي، لندن، 1992، ص. 54.

(83) صبحي، أحمد محمود، *في فلسفة التاريخ*، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص. 54.

(84) الربيعي، إسماعيل، *العالم وتحولاته: التاريخ – الهوية – العولمة*. المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006، ص. 26.

- بلجريف، تشارلز. مذكرات بلجريف مستشار حكومة البحرين سابقا. ترجمة مهدي عبد الله. دار البلاغة، بيروت، ط1، 2002.
- بلجريف، روبرت. تشارلز داليرمبل بلجريف مستشار قديم في البحرين. الوثيقة، مج3، ع6، 39 – 53، 1985.
- حسين. محمد خليل، وأحمد، عبد الغفور إبراهيم. المدخل إلى طرق البحث العلمي. دار زهران، عمّان، 2012.
- الخليفة، مي محمد. تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (1926-1957). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.
- الربيعي، إسماعيل. العالم وتحولاته: التاريخ – الهوية – العولمة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006.
- الرميحي، محمد. البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي. دار الجديد، بيروت، ط4، 1995.
- زيغور، علي. فلسفة الحضارة ومعنية المجتمع والعلائقية. مؤسسة عز الدين، بيروت، 1994.
- السلماني، عبد الله بن طه. منهج البحث التاريخي. دار الفكر، عمّان، 2010.
- السلمي، علي. الإدارة بالأهداف: طريق المدير المتفوق. دار غريب، القاهرة. 2000.
- صبحي، أحمد محمود. في فلسفة التاريخ. مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- صفوة، نجدة فتحي. الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية. دار الساقي، بيروت، 2004.
- طهبوب، فائق حمدي. تاريخ البحرين السياسي (1870-1783). منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1983.
- عبد الله، محمد أحمد وزين العابدين، بشير. تاريخ البحرين الحديث (1500 – 2002). مركز الدراسات التاريخية، جامعة البحرين، مملكة البحرين، 2009.
- العظمة، عزيز. الأصالة أو سياسة الهروب من الواقع. دار الساقي، لندن، 1992.
- الغتم، محمد بن جاسم. البحرين: خمسة قرون من التاريخ والحضارة. مركز البحرين للدراسات والبحوث، مملكة البحرين، ط1، 2004.
- المُردي، محمود. وفاة السير تشارلز بلجريف. جريدة الأضواء (البحرين). 6 مارس 1969.
- مركز البحرين لحقوق الإنسان. يوميات تشارلز بلجريف (1926-1957). مملكة البحرين، مركز البحرين لحقوق الإنسان، سبتمبر 2009.
- المريخي، خليل. لمحات من ماضي البحرين. وزارة الإعلام، دولة البحرين، 1987.
- المزعل، شرف محمد علي. الخطاب الإصلاحي في البحرين في منتصف القرن العشرين (1950 - 1954). بحث مقبول للنشر في دراسات الخليج والجزيرة العربية، 2022.
- منسي، عبد الله بن سراج. تشارلز بلجريف: وسيلة جديدة للهيمنة البريطانية في الخليج العربي. مجلة جامعة الملك سعود (الآداب)، مج12، 1 – 35، 2004.
- هيجل، جورج فلهلم. العقل في التاريخ. ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام. دار التنوير، بيروت، الطبعة الثالثة، 2007.

ثانياً - المراجع الأجنبية

- Abdulla, Hamad Ebrahim. Sir Charles Belgrave and the Rise and Fall of Bahrain's National Union Committee (January 1953 to April 1957). Doctoral Thesis, University of East Anglia. 2016.
- Allday, Louis. Charles Belgrave: The Advisor. 14 October 2014. Retrieved 16 June 2022 from https://www.qdl.qa/en/charles-belgrave-%E2%80%93-adviser
- Belgrave, Sir Charles. Personal Column. England: Hutchinson. 1960.
- Bell, J. 'He Said Forward! To the Backward!', Life, 17 November 1952. 157-174.
- Hay, Rupert, & Eller, Ernest. M. The Persian Gulf States. Middle East Institute, Washington. 1959.
- Hay, W. R. The Impact of the Oil Industry on the Persian Gulf Shaykhdoms. Middle East Journal. 9(4). 361-372. 1955.
- Listmann, Emily. How to Analyze a Historical Document. 2021. Accessed on 15 June 2022 from https://www.wikihow.com/Analyze-a-Historical-Document
- Standish, J. F. British Maritime Policy in the Persian Gulf. Middle East Studies. 1967.
- Tuson, Penelope. Records of Bahrain: Primary Documents. 1820-1960. Buckinghamshire, England: Archive Editions.1993.

ملحق (1)

صورة (1) خارطة البحرين صورة (2) الموقع الإقليمي للبحرين

صورة (3) الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد بصحبة المستشار البريطاني تشارلز بلجريف في فترة تواجده في البحرين (1926 – 1957)